المحاضرة الأولى:

مدخل إلى علم تحقيق التراث العربي المخطوط

عناصر المحاضرة:

- ✓ الحاجة إلى التراث وإعادة قراءته
- ✓ وضعية المخطوط
- ✓ تعريف علم تحقيق المخطوط

العنصر الأول: الحاجة إلى التراث والعناية وإعادة قراءته؛ وأهميته

التراث: مأخوذ من ورث، والورث أو الإرث بمعنى: البقاء، والوارث بمعنى: الباقي، ومن هنا يطلق التراث أو الميراث على كل ما يخلِّفه الإنسان من مال أو علم أو نحوهما؛ فالتراث في عمومه هو كلّ ما يرثه الإنسان من أسلافه من مادّيات ومعنويات.فهو يشمل:

التراث المادي: (صناعات، آلات، بنايات، ....).

التراث المعنوي: وهو إما مكتوبٌ أو منقول شفويًّا في شكل معلومات وعادات وتقاليد وثقافة منقولة شفويا.

ولكن مقصوده في علم التحقيق هو ما خلفه الأدباء من علوم ومعارف ومصنفات، حتى صارت في تقدير بعض الباحثين عَلَمًا بالغلبة على النتاج الفكريّ لأسلافنا الذين سبقونا بالبحث والدرس، وارتياد دروب التصنيف[1].

ثانيا: الحاجة إلى التراث والعناية به وأهمية ذلك:

لا شك أن التراث العربي الإسلامي والعناية به، يحتاجه كل ممارس لهذه العلوم المتعلقة به؛ لكي يبني عليها ويأخذ منها؛ وهو مما لا تخفى أهميته البالغة في شتى ميادين العلوم؛ ونستطيع تصوير هذه الحاجة والأهمية في النقاط التالية:

١- الحاجة إليه من حيث كميته:

---

[1] مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث، السيد رزق الطويل، ص ١٤١؛ مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، رمضان عبد التواب ص ٨.

فكمية التراث العربي تتمثل في ضخامة التراث العربي الإسلامي المخطوط، في عدده وشموله وتنوّعه.

فهو كثير العدد يشكل ما بين ثلاثة ملايين[٢] إلى خمسة ملايين مخطوط، مما يستدعي تشميرا لخدمته والاستفادة منه[٣] ؛ وهذه ظاهرة معروفة إذ يقول القلقشندي:" واعلم أن الكتب المصنفّة أكثر من أن تحصى، وأجل من أن تحصر، لا سيّما الكتب المصنفة في الملّة الإسلامية؛ فإنها لم يصنّف مثلها في ملّة من الملل، ولا قام بنظيرها أمّة من الأمم؛ إلّا أن منها كتبا مشهورة قد توفرت الدواعي على نقلها، والإكثار من نسخها، وطارت سُمعتها في الآفاق، ورُغب في اقتنائها"[٤]

وهو شامل لمختلف المعارف الإنسانية.

وهو متنوع في طرق العرض: بين الإيجاز والتوسع، وبين المتون والشروح والتقريرات، وبين النثر والنظم، وغير ذلك من صور التنوّع[٥].

٢- طول عمر التراث العربي المخطوط؛ فمخطوطاته لا تقلّ عن اثني عشر قرنا؛ إذ تمتد من القرون الأولى إلى غاية ظهور الطباعة[٦] ؛ فهي أطول المخطوطات عمرا في العالم، تضرب جذوره في أعماق التاريخ، وفروعُه تمتد إلى مشارف العصر الحديث؛ ولم يقدّر للغة من اللغات القديمة أو الحديثة أن تمتدّ بها الحياة أكثر من ألف عام، بلا تحريف أو تبديل في مفرداتها ونحوها وصرفها؛ فهذه العربية التي نتكلم بها اليوم ونكتب بها، كان يتكلم بها أهل الجاهلية العربية[٧].

يقول الدكتور عبد الكريم العوفي: "فالمخطوط العربي أطول مخطوطات العالم عمرا، وأكثرها عددا، فمن ورائنا أربعة عشر قرنا من التراث المخطوط، وهو تراث ضخم، لم يتوافر لأيّ أمة من الأمم، ولا في أيّ لغة من لغات البشر"[٨].

٣- ومن أهميته أيضا أن المخطوطات العربية اتّسعت رقعتها لتشمل جميع العالم الإسلامي؛ واتساع الرقعة هنا يشمل أمرين:

الأوّل: ما تعلّق بمكان كتابتها وكاتبها فهي متعدّدة الأماكن وكتّابها مختلفوا المناطق.

---

[٢] المستشرقون والتراث، عبد العظيم محمود الديب، ص ٣١.

[٣] نحو علم مخطوطات عربي، عبد الستار الحلوجي ص١٢؛ الكتاب العربي المخطوط، فؤاد السيد ص٢٢٧.

[٤] صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القلقشندي، ج١/ ص٥٣٨.

[٥] مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث، السيد رزق الطويل ص١٥٣.

[٦] هذا إذا توقفنا عند زمن ظهور الطباعة، والصواب أنها ممتدة لما بعده.

[٧] نحو علم مخطوطات عربي، عبد الستار الحلوجي ص١٢.

[٨] التراث الجزائري المخطوط، عبد الكريم عوفي، مجلة آفاق التراث، ع ٢٠ ص١٠٤، ١٠٥.

والثاني: مكان وجودها وحفظها اليوم، إذ لا تكاد تخلو بقعة منها في المساجد والمدارس والزوايا والمتاحف والمكتبات الخاصة والعامة؛ بل لم يقتصر وجودها على العالم الإسلامي إذ هُجِّرَ كثير منها إلى دول أوربا وأمريكا وغيرها.

٤- من أهميته أيضا شمولها لنواحي الحياة الدينية والأدبية والعلمية فكانت المخطوطات العربية بحق رائدة الحضارة، ومخزن المعارف الإنسانية مدة طويلة من الزمان.

٥- قلة المطبوع من هذا التراث بجنب ما هو مخطوط منه[٩]

فمن هذه الأمور المذكورة آنفا يتبيّن لنا أن التراث العربي الإسلامي يتبوّأ المركز الأول من حيث الكم والكيف[١٠]؛ وهذه الأبعاد الثلاثة (الزمن والمكان والحضارة) جعلت التراث العربي المخطوط أطول عمرا، وأضخم عددا، وأشد تنوّعا، وأقوى انتشارا، وأكثر أصالة، من التراث المخطوط لأية أمة أخرى؛ إن هذا التراث هو الذاكرة الحيّة لأمة امتدّ تاريخها على خمسة عشر قرنا[١١].

الحاجة إليه وأهميته من حيث القيمة العلمية:

فالتراث يأخذ قيمته من العلوم المدوّنة إذ (شرف العلم من شرف المعلوم) ويظهر ذلك في:

٦- أن فيه مدوّنة الوحي وتفسيره؛ فهذا التراث "هو ما ورثناه عن آبائنا من عقيدة، وثقافة، وقيم، وآداب، وفنون، وصناعات، وسائر المنجزات الأخرى المعنوية والمادية؛ بل إنه يشمل الوحي الإلهي(القرآن والسنة) الذي ورثناه عن أسلافنا ... "[١٢]

٧- إن هذا التراث يشكّل حضارة أمّة بكلّ صورها ومظاهرها (الشرعية والأدبية والسياسية والتاريخية والعلمية) وغير ذلك، وهو إرث متواصل غير منقطع، يجب المحافظة عليه، ودراسته، ونشره وتحريره، وتنقيحه[١٣] .فعِلْم الأمة مدوّن فيه، وفقه الأمة، وعلم الأئمة، وتاريخها، ولغتها، وغير ذلك، وأمّة بغير ذلك ليست أمة.

---

[٩] مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث، السيد رزق الطويل ص١٥٣.

[١٠] التراث الجزائري المخطوط، عبد الكريم عوفي، مجلة آفاق التراث، ع ٢٠ ص١٠٤، ١٠٥.

[١١].نحو علم مخطوطات عربي، عبد الستار الحلوجي ص١٥.

[١٢] التراث الجزائري المخطوط، عبد الكريم عوفي، مجلة آفاق التراث، ع ٢٠ ص١٠٣.

[١٣] التراث الجزائري المخطوط، عبد الكريم عوفي، مجلة آفاق التراث، ع ٢٠ ص١٠٣.

٨- إن التراث العربي يعدّ دعامة من دعائم التراث البشري عامّة؛ فهو يؤدّي دورا خطيرا في نقل العلم والمعرفة والحضارة؛ ويعرّفنا مدى تمسّك الأمة بأصالتها؛ وهو عامل ثورة وبناءٍ، إذا ما أُحْسِن استعماله[١٤].

العنصر الثاني: واقع التراث العربي المخطوط:

ذكرنا العدد الهائل للتراث العربي المخطوط الذي يشكل ما بين ثلاثة ملايين[١٥] إلى خمسة ملايين مخطوط، بل قد ذكر بعض الباحثين أنها تصل إلى سبعة ملايين مخطوط؛ وهي موزعة في مكتبات العالم العامة والخاصة؛ وهذه عينات لأهم أماكن المخطوطات:

الدول العربية:

١- مصر: ١٠٠ ألف مخطوط موزعة على مكتبات: دار الكتب، الأزهر؛ جامعة القاهرة، الإسكندرية، المسجد الأحمدي.

٢- العراق: ١٠٠ ألف مخطوط نصفها في دار المخطوطات ببغداد (هذا قبل الاحتلال الأمريكي)

٣- السعودية ٧٠ ألف مخطوط منها ما اشتروه ومنها ما صوروه من مكتبات العالم.

٤- المغرب: ١٤ ألف مخطوط

٥- سوريا ١٤ ألف

٦- تونس ٢٥ ألف

٧- موريتانيا ٤٠ ألف

الدول الإسلامية غير العربية

١- تركيا ٣٠٠ ألف مخطوط (وسبب ذلك كونها عاصمة الخلافة الإسلامية)

٢- إيران ٢٠٠ ألف

٣- الهند ٤١ ألف

الدول الأجنبية غير الإسلامية

١- روسيا ٤٠ ألف مكتبة بطرس بورغ

٢- بريطانيا ٢٠ ألف (المتحف البريطاني، جامعة كمبردج)

---

[١٤] التراث الجزائري المخطوط، عبد الكريم عوفي، مجلة آفاق التراث، ع ٢٠ ص١٠٣. بحوث ودراسات في اللغة، حاتم الضامن، ص ٠٧.

[١٥] المستشرقون والتراث، عبد العظيم محمود الديب، ص ٣١.

٣- فرنسا ٨ ألاف المكتبة الوطنية

٤- ألمانيا ١٤ ألف.

وهناك مكتبات خاصة لزوايا أو أشخاص وهي كثيرة؛ منها في الجزائر مكتبة زاوية طولقة ببسكرة، مكتبة زاوية الهامل ببوسعادة، مكتبة جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة (وغالبها من زاوية الشيخ الحسين بـ: التلاغمة ولاية ميلة).

ومع التطور التكنولوجي تم إنشاء قواعد بيانات للمكتبات أو إنشاء مواقع خاصة من طرف المؤسسات الرسمية أو بعض الأشخاص المهتمين بهذا المجال؛ وهناك قواعد بيانات على النت لمواقع كثيرة تعنى بجمع التراث العربي المخطوط وهي كثيرة منها[١٦] نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

رابط الموقع		لغة الموقع	مقر الموقع	عدد المخطوطات	إمكانية القراءة	إمكانية التحميل	ملاحظات
معهد المخطوطات العربية	http://www.manuscriptsinstitute.org/	عربية	جمهورية مصر	١٧٢٤٩	لا	لا	تابع لجامعة الدول العربية وللحصول على مخطوطة يجب مراجعة المعهد برقم المخطوطة وطلبها منهم
مركز المخطوطات والتراث والوثائق	http://makhtutat.org/	عربية	الكويت	٤١٢٦	لا	لا	الموقع يقدم فهرسه فقط ويمكن طلب المخطوطات وشراؤها من إدارة الموقع
مكتبة الملك عبدالله بجامعة أم القرى	https://uqu.edu.sa/lib/digital_library	عربية	السعودية	٨٢١٩	نعم	لا	يتم الحصول على المخطوطة الكاملة مرقمنة عن طريق الذهاب للمكتبة وطلبها برقم المخطوطة الذي تم الحصول عليه من الموقع
جامع المخطوطات الإسلامي	http://wqf.me/	عربية	السعودية	١٠٠٠٠٠+	لا	نعم	موقع يهتم بجمع المخطوطات، يقدم المخطوطات كمجموعات ويقدم بعضها بشكل منفرد
مكتبة جامعة الملك فيصل	http://www.kfu.edu.sa/ar/Deans/Library/Pages/Manuscripts.aspx	عربية	السعودية	٤٦٥١	لا	لا	يجب ان تكون منتسباً للجامعة لتتمكن من تصفح محتويات المكتبة
مكتبة المصطفى الإلكترونية	http://www.al-mostafa.com/disp.php?page=scripts	عربية	مصر	٩٣٥٠٠	لا	نعم	تم حصر عدد المخطوطات من قبلنا باستخدام برنامج إكسل
مركز ودود للمخطوطات	http://wadod.com/	عربية	قطر	٩٠٤	لا	نعم	لا يقدم فهرسة والمخطوطات متاحة للتحميل فقط
مكتبة جامعة الملك سعود	http://makhtota.ksu.edu.	عربية	المملكة	١١٠٠٠	نعم	نعم	من العيوب تحميل المخطوطة صفحات منفردة، ولا يوجد ترقيم للمخطوطات مما يصعب

[١٦] من دراسة احصائية بعنوان : مواقع المخطوطات العربية على الشبكة العالمية (وصف وتحليل)؛ د. خالد بن أحمد بن إسماعيل الأكوع.، كلية اللغة العربية جامعة أم القرى

رابط الموقع		لغة الموقع	مقر الموقع	عدد المخطوطات	إمكانية القراءة	إمكانية التحميل	ملاحظات
للمخطوطات	sa/		العربية السعودية				حصرها
مكتبة شبكة الألوكة	http://www.alukah.net/library/٨٠١٠/	عربية	المملكة العربية السعودية	٣٢٢٣	نعم	نعم	ـــــ
المكتبة الوطنية للمملكة المغربية	http://bnm.bnrm.ma:٨٦/Arabe/Accueil.aspx	عربية	المملكة المغربية	٩٩	نعم	لا	طريقة العرض غير جيدة ينقص المخطوطات كثيراً من التفاصيل
مكتبة جامعة الكويت	http://library.kuniv.edu.kw/	عربية	الكويت	٢٣٣٧٨	لا	لا	مخطوطات على أسطوانات فقط ولا تقدم فهرسة كاملة
مكتبة الإسكندرية	http://www.bibalex.org/researchcenters/manuscript_ar.aspx	عربية	جمهورية مصر	٦٠٠	لا	لا	تعرض في أسطوانات وتباع للراغبين .

ثالثا: تعريف علم تحقيق المخطوطات أو علم تحقيق التراث

السائد في هذه الأيام أن تذكر كلمة "**تحقيق**" مقرونة إما بلفظ "**النصوص** أو **المخطوطات**، أو **التراث**"؛ فيقال: تحقيق النصوص، أو تحقيق المخطوطات، أو تحقيق التراث؛ وكلها تشكل مصطلحا واحدا مركبا تركيبا إضافيا؛ وعليه يجب أن نعرف هذه المضافات حتى يتحدد المفهوم من هذا العلم.

النصوص: لغة هو: جمع نص.

وله معان في اللغة غالبها يرجع إلى ظهور الشيء، ووضوحه والارتفاع به إلى غايته.

والمراد بها هنا: هو صيغة الكلام الأصليّة التي وردت عن المؤلف؛ ليخرج بذلك عما يكتبه غيره من النساخ أو القارئين للكتاب أو المحشّين عليه أو المحققين في تعليقاتهم.[١٧]

المخطوط:

لغة: من مادة (خ ط ط) والخط الكتابة، يقال: خطّ الكتاب يخطه؛ ومنه قوله تعالى ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٨] وكتاب مخطوط[١٨].

---

[١٧] تحقيق التراث بين القديم والحديث، الصادق الغرياني، ص٧.

وفي الاصطلاح: هي مؤلفات العلماء ومصنفاتهم التي لم تطبع، فهي لفظة محدثة لا تجد ذكرًا لهذه الكلمة (المخطوط) أو (المخطوطات) في كلام المتقدمين بهذا المعنى المعاصر، وإنما حدثت هذه اللفظة بعد دخول الطباعة، فأصبحت الكتب قسمين: مخطوطات، ومطبوعات. فما كان منها مكتوبًا بخط اليد سُمي مخطوطًا، وما طُبع منها سُمي مطبوعًا، تمييزًا له عن الأول.

يقول د. أحمد شوقي بنبين:"لفظ مخطوط حديث في العربية، يبدو أنه ظهر مع ظهور الكتاب المطبوع، أما قبل ذلك فكانوا يقولون :"تأليف أو مؤلفات، كتب الأصول، الكتب الأمهات، أو الكتب الأساسية؛ لأنها كانت تحوي أساسيات العلم"[١٩]

وقد اختلف أهلُ الفن في تعريف (المخطوط) بعد حدوث هذه اللفظة، فعرفه البعض بقوله: "ما كتب بخط اليد قبل دخول الطباعة"[٢٠].

وعلى هذا فعصر المخطوطات ينتهي عند ظهور الطباعة وسيطرتها على المكتوب؛ ومعلوم أن الطباعة التي ظهرت في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، ثم انتقلت شيئا فشيئا للعالم العربي بعد ثلاثة قرون أو تزيد؛ ومعلوم أيضا أن انتشارها وسيطرتها على المكتوب لم تكن دفعة واحدة[٢١].

ولكن هذا الحصر منتقد بكون كثير من المؤلفين علماء وباحثين بعد ظهور الطباعة يبتدئون مؤلفاتهم بخط أيديهم وربما توفاهم الأجل قبل طباعتها فيعمد غيرهم إلى تحقيقها باعتبارها مخطوطات؛ ولهذا أمثلة كثيرة؛ فمثلا كثير من آثار الشيخ عبد الرحمن المعلمي طبعت عن مخطوطاته بعد وفاته؛ وهذا الشيخ مُحَمَّد الطاهر التليلي القماري الجزائري (ت١٤٢٤ هـ) تحقق مخطوطاته وغير ذلك.

ولهذا فالتعريف الأعم للمخطوط هو: عبارة عن كتاب أو رسالة مكتوبة بخطّ مؤلّفها الأصليّ أو النساخ، أي لم تطبع بعد، ويقابله المطبوع وهو الكتاب المنسوخ بالمطبعَة.

التراث:

---

[١٨] أساس البلاغة، الزمخشري، ج١/ ص٢٥٦؛ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصبهاني، ص ٢٨٦؛ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي، ج٢/ ص٥٥٠.

[١٩] الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، فؤاد السيد، ص٦٧.

[٢٠] الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، فؤاد السيد، ص ٦٧-٦٩؛ نحو علم مخطوطات عربي، عبد الستار الحلوجي، ص ٩؛ المخطوطات تعريفها وأهميته شبكة الألوكة: https://www.alukah.net/library/٠/٢٢٧٩٠/#ixzz٦dgnAsuBw

[٢١] نحو علم مخطوطات عربي، عبد الستار الحلوجي، ص ١٠.

لغةً: مأخوذ من ورث، والورث أو الإرث بمعنى: البقاء، والوارث بمعنى: الباقي، ومن هنا يطلق التراث أو الميراث على كل ما يخلِّفه الإنسان من مال أو علم أو نحوهما؛ فالتراث في عمومه هو كلّ ما يرثه الإنسان من أسلافه من مادّيات ومعنويات.

اصطلاحا: غلب تخصيصه بما خلفه الأدباء من علوم ومعارف ومصنفات، حتى صارت في تقدير بعض الباحثين عَلَمًا بالغلبة على النتاج الفكريّ لأسلافنا الذين سبقونا بالبحث والدرس، وارتياد دروب التصنيف[٢٢].

وحينما يقال "تحقيق التراث" يراد من كلمة "التراث" في هذه العبارة الكتب المخطوطة التي ورّثها السلف للخلف[٢٣].

التحقيق:

لغة: مأخوذة من مادة "حق" وهو أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى إِحْكَامِ الشَّيْءِ وَصِحَّتِهِ"[٢٤]، وفي أساس البلاغة "حققت الأمر وأحققته: كنت على يقين منه؛ وحققت الخبر فأنا أحقه: وقفت على حقيقته؛ ويقول الرجل لأصحابه إذا بلغهم خبر فلم يستيقنوه: أنا أُحِقُّ لكم هذا الخبر، أي أعلمه لكم وأعرف حقيقته"[٢٥].

وفي مختار الصحاح: (حَقَّ) الْأَمْرَ و(أَحَقَّهُ) أَيْ تَحَقَّقَهُ وَصَارَ مِنْهُ عَلَى يَقِينٍ، وَ (تَحَقَّقَ) عِنْدَهُ الْخَبَرُ صَحَّ وَ (حَقَّقَ) قَوْلَهُ وَظَنَّهُ (تَحْقِيقًا) أَيْ صَدَّقَهُ. وَكَلَامٌ (مُحَقَّقٌ) أَيْ رَصِينٌ[٢٦].

وفي المعجم الوسيط نجد أن حقق الْأَمر أثْبته وَصدّقه، يُقَال: حقَّق الظَّن وحقَّق القَوْلَ والقضيةَ وَالشَّيْءَ وَالْأَمرَ أحكَمَهُ؛ وَيُقَال حَقَّق الثَّوْبَ: أحكم نسجه"[٢٧].

من خلال هذه النقول عن كتب اللغة نرى: أن لفظ التحقيق يدور حول إثبات صحّةِ الشيءِ، وإحكامِه وتصحيحه؛ حتَّى تصير منه على يقينٍ، وتَبْتَعِد به عن الزَّيْف[٢٨].

---

[٢٢] مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث، السيد رزق الطويل، ص ١٤١؛ مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، رمضان عبد التواب ص ٨.

[٢٣] مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث، السيد رزق الطويل، ص١٤١؛ تحقيق التراث بين القديم والحديث الصادق الغرياني ٨.

[٢٤] مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٢/ ص١٥.

[٢٥] أساس البلاغة، الزمخشري، ج١/ ص٢٠٣.

[٢٦] مختار الصحاح، زين الدين الرازي، ص ٧٧.

[٢٧] المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وزملاؤه، ج١/ ص١٨٨.

[٢٨] انظر: تحقيق مخطوطات العلوم الشرعية، محي هلال سرحان ص ١٧١، تحقيق التراث بين القديم والحديث الصادق الغرياني ص٧.

– تعريف علم التحقيق باعتباره علما:

بعد أن عرفنا المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفرداته نستطيع أن نتبيّن تعريفه من حيث الاصطلاح؛ مستعرضين ما ذكره العلماء والباحثون من تعاريف كثيرة متقاربة، انتقينا منها ما يلي:

١- " يقصد به بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفائها لشرائط معينة؛ فالكتاب المحقق هو الذي صح عنوانه، واسم مؤلفه، ونسبة الكتاب إليه، وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه"[٢٩].

٢- هو تأدية النص القديم كما تركه مؤلفه[٣٠].

٣- "قراءة الكتاب على الوجه الذي أراده عليه مؤلفه، أو على وجه يقرب من أصله الذي كتبه مؤلفه"[٣١]

٤- تحقيق الكتب: هو إصدارها على حقيقتها، أو بعبارة أخرى إصدارها على الصورة التي أرادها لها مؤلفوها"[٣٢].

٥- تحري الحق في إخراج المخطوطة بالصورة الصحيحة التي وضعها فيها مؤلفها، وبَذْلُ الوسع للمحافظة على دقتها وسلامتها وضبط نصها، لتؤدي فائدتها، وتحرِّي جانب الصواب في ترجيح لفظ على لفظ حين اختلاف نسخها، إذا لم تكن بخط مؤلفها؛ وإقامة الدليل على كل ما يأتي به محققها من: نسبتها إلى مؤلفها، وتصحيح تصحيف في نسخها، وإكمال نقص حصل فيها، والتنبيه على ما وقع من السهو والخلل، وتوثيق نصوصها، بمراجعة المصادر التي أخذت منها تلك المخطوطة وغير ذلك، ويكون ذلك باتباع الطرق العلمية الخاصة التي تكفل الوصل إلى ذلك الهدف"[٣٣].

أسماؤه:

من خلال المؤلفات في هذا العلم نجده عرف بعدة تسميات متقاربة، نذكر منها:

---

[٢٩] تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام هارون، ص ٣٩.

[٣٠] المخطوط العربي وشيء من قضاياه، عبد العزيز بن مُحَمَّد المسفر، ص٠٢.

[٣١] مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، رمضان عبد التواب ص ٥.

[٣٢] المخطوط العربي، عبد الستار الحلوجي، ص٢٨٧.

[٣٣] تحقيق مخطوطات العلوم الشرعية، محي هلال سرحان ١٧١.

علم تحقيق النصوص، علم تحقيق التراث، علم تحقيق المخطوطات، الدراسات الفيلولوجية للمخطوط العربي وهذا الأخير معروف في اللغة الأجنبية[٣٤] .

موضوع علم تحقيق المخطوطات: نصوص التراث العربي المخطوط؛ بمختلف التخصّصات والعلوم.

تاريخه ونشأته[٣٥]:

إن تحقيق التراث بمعناه الذي ذكرناه آنفا "إثبات النص كما تركه مؤلف" فهو نوع حماية للنص من التحريف والتلاعب؛ وهذا الأمر قديم قِدَم التدوين؛ فحينما كانت الكتابة وتسجيل النصوص في وثائق متنوعة كان احتمال التلاعب بها واردا، ولذلك كانت المحافظة عليها الهمَّ الشاغل للمسؤولين عنها، ويضرب أحد الباحثين لذلك مثلًا بما وجد من ألواح طينيّة في بلاد الرافدين وعليها تخويفاتٌ وشعوذاتٌ تحذّر من المساس بها أو التلاعب بنصوصها؛ فهذا تحقيق يتناسب مع أولئك القوم وعقيدتهم[٣٦].

أما علماء المسلمين فقد وضعوا أصوله منذ زاولوا العلم وروايته، فقد عرفوه ومارسوه عمليًّا على أسس علميّة صحيحة، حتى وإن لم يعرفوه بوصفه علما مستقلا؛ يتجلى ذلك في مناهجهم الرصينة التي وضعوها في التحقّق من المنقول؛ وذلك انطلاقا مما يمليه عليهم واجبهم الدينيُّ، من التثبّت في الأخبار، والأمانة في نقلها؛ عملًا بقول ربّنا سحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦].

ولهذا توالى علماء المسلمين على التقيّد العملي بضوابط التحقيق في المنقول، سواء في عصور الرواية أو في عصور تدوين العلم بالكتابة؛ وسيأتي تفصيل لهذا الأمر في محاضرة خاصة تعنى بجهود علماء المسلمين في تحقيق التراث.

واستمرّ الأمر على هذا الحال إلى أن ظهرت الطباعة عند الأوربيين في القرن الخامس عشر، حينما اهتموا بطباعة الآداب اليونانية واللاتينية، دون البحث عن نسخ؛ ولما تقدّم علم الآداب عندهم شيئا ما

---

[٣٤] الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، فؤاد السيد، ص٥٤٥

[٣٥] انظر: تحقيق مخطوطات العلوم الشرعية، محي هلال سرحان ١٧٤ وما بعدها؛ تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ص ١٦ وما بعدها.

[٣٦] تحقيق المخطوطات والعمل الببليوغرافي، مُحَمَّد عبود حسن الزبيدي، مجلة آفاق الثقافة التراث، ص ١٢٠.

اضطروا إلى الاستفادة من تعدّد النسخ، ولكن دون منهج علمي، إلى غاية القرن التاسع عشر، حيث وضعوا أصولا لنقد النصوص ونشر الكتب القديمة[٣٧].

ثم ظهرت محاولات لوضع قواعد لهذا العلم نوجزها فيما يلي[٣٨]:

١- أسبق المحاولات في هذا المجال هي محاولة المستشرق الألماني برجستراسر وهي عبارة عن محاضرات ألقاها على طلبة الماجستير بقسم اللغة العربية بجامعة القاهرة عام ١٩٣١؛ ولكن ترجمتها ونشرها تأخر إلى سنة ١٩٦٩ حيث نشرها د. مُحَمَّد حمدي البكري باسم :"أصول نقد النصوص ونشر الكتب"[٣٩]

٢- ثم وضع ما و ضعه بلاشير وسوفاجيه من قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها سنة ١٩٤٥، ترجمها د. محمود المقداد[٤٠].

٣- ما وضعه المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٥١ من قواعد موجزة عند نشره لتاريخ دمشق لابن عساكر؛ ومثله ما وضعه إبراهيم مدكور من قواعد عند تحقيق كتاب الشفاء لابن سينا عام ١٩٥٣.

٤- وأكمل المحاولات التي تمت لوضع قواعد ثابتة هي كتاب" تحقيق النصوص ونشرها" للأستاذ عبد السلام هارون سنة ١٩٥٣ تناولت إلى جانب التحقيق بعض العلوم المساعدة.

٥- ثم قواعد تحقيق النصوص لصلاح الدين المنجد ١٩٥٥.

ثم توالت بعد ذلك الكتابات في هذا الميدان؛ وكأيّ علم فإنه يبدأ عمليا ثم تبرز محاولات لضبطه، ثم تتكامل صورته شيئا فشيئا، بتعاقب أهل العلم المتخصصين حتى ينتهي إلى درجة النضج والاستواء.

ويمكن لنا أن نلاحظ هنا مرحلتين بارزتين:

الأولى: من جهة العمل به وذلك منذ بداية تدوين العلوم إلى غاية القرن التاسع عشر.

الثانية: من جهة تخصيص هذا العلم بالتأليف وبروزه علما مستقلا له حدوده وضوابطه، انطلق من القرن التاسع عشر ليكتمل في منتصف القرن العشرين علما مستقلًا بالتأليف.

---

[٣٧] مقدمة مُحَمَّد حمدي البكري لكتاب: أصول نقد النصوص لبرجستراسر ص١١؛ نحو علم مخطوطات عربي، عبد الستار الحلوجي ص ١٩٣ وما بعدها، تحقيق مخطوطات العلوم الشرعية، محي هلال سرحان ص١٨٠؛ الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، فؤاد السيد ص٥٤٥، ٥٤٦.

[٣٨] تحقيق مخطوطات العلوم الشرعية، محي هلال سرحان ص١٨٢؛ قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها، بلاشير وسوفاجيه إعداد وتقديم مُحَمَّد حمدي البكري، ص (ز)؛ وانظر: الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، فؤاد السيد ص٥٤٦؛ المخطوط العربي، عبد الستار الحلوجي ص٢٨٩.

[٣٩] قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها، بلاشير وسوفاجيه إعداد وتقديم مُحَمَّد حمدي البكري، ص (ز)؛ وانظر الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، فؤاد السيد٥٤٦، المخطوط العربي، عبد الستار الحلوجي ٢٨٩.

[٤٠] الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، فؤاد السيد ص٥٤٦.

فروع علم تحقيق المخطوطات: هذا العلم؛ علم تحقيق المخطوطات فرع عن علم المخطوط، وهو يتضمن ستة فروع كما قرره بعض الباحثين[٤١] وهي:

١- تاريخ المخطوط منذ بداياته إلى ظهور الطباعة.

٢- الكيان المادي للمخطوط (الكوديكولوجيا) فيشمل: المادة التي كتب عليها، أدوات الكتابة، الخطوط ، الحليات والزخارف.

٣- تقييم المخطوط ويدخل فيها توثيق النسخ المخطوطة.

٤- الحفظ والصيانة وأساليب التعقيم والترميم والتصوير.

٥- الفهرسة والضبط الببليوغرافي: الفهرسة وأدوات حصر المخطوطات

٦- التحقيق والنشر.

غاية علم تحقيق المخطوط: غاية هذا العلم هي الوصول إلى حقيقة النص، أو صورة نتصور أنها إن لم تكن هي التي خرجت من يد المؤلف، فإنها أقرب ما تكون إلى تلك الصورة[٤٢].

نسبته وعلاقته بغيره من العلوم: إن علم تحقيق المخطوطات له علاقة وطيدة بغيره من العلوم، وذلك من جهات عدة:

- الجهة الأولى: علاقته بعلم التاريخ وهو أمر واضح.
- الجهة الثانية: علاقته بعلوم اللغة (النحو والصرف ومتن اللغة والخط) لأنها هي الوعاء الذي نقل به المخطوط وكتب به.
- الجهة الثالثة: من جهة موضوع المخطوط فكل مخطوط لا بد وأن ينتمي لعلم ما؛ ولذا كان من شروط المحقق اطلاعه على العلم الذي ألّف فيه المخطوط؛ والناظر كما سبق للمخطوطات العربية الإسلامية يجدها شملت جميع ميادين العلوم والمعارف الإنسانية؛ لذا كان علم المخطوطات من جهة الإطلاق متعلقا بكل الميادين العلمية، وأما من حيث خصوص مخطوط بعينه فقد يتعلق بعلم أو علمين على حسب موضوعه، فمثلا: مخطوط في التفسير سيكون متعلقا بعلم التفسير والقراءات واللغة و قد يتعلق بالفقه والحديث وغيرها؛ وهكذا...

---

[٤١] نحو علم مخطوطات عربي، عبد الستار الحلوجي ص١٦، ١٧.

[٤٢] نحو علم مخطوطات عربي، عبد الستار الحلوجي، ص١٧٥؛ ملامح في فن تحقيق المخطوطات، د. مُحَمَّد حسان الطيان، مقال منشور في شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة: ٢٠٠٩/١٢/٢ ميلادي - ١٤٣٠/١٢/١٤ هجري، زيارة: ٧٢٤٤٥.

لغة التراث الإسلامي المخطوط[٤٣]

الغالب على التراث الإسلامي أن يكتب بالعربية، إذ هي اللغة الأصلية التي نزل بها هذا الدين؛ وهي لغة القرآن والسنة؛ ولهذا كثيرا ما يطلق عليه في الدراسات تسمية "التراث العربي" والمقصود به أعم من ذلك فهو يشمل ما كتب باللغات "الإسلامية" الأخرى (كالفارسية والأردية والتركية ولغات آسيوية أخرى وأفريقية كاللغة الأمازيغية وغيرها)؛ وهذا كله تراث إسلامي لأنه يعبر عن الفكر الإسلامي، وينطلق من المنطلقات الإسلامية ويخدم الثقافة الإسلامية وقام ونشأ بين المسلمين؛ ولا شك أن اللغة الأصلية له هي اللغة العربية لأنها محل ابتداءه ومركز نشأته وتطوّره.

هل التراث المخطوط كلُّه يتماشى مع قيم الدين الإسلامي[٤٤]

ليس بالضرورة أن يكون التراث العربي أو الإسلامي ملتزما – تمام الالتزام – بالمبادئ والْمُثُل والقيم الإسلامية؛ بل إن منه ما يتنافى معها؛ إما بالدخيل المتأثّر بثقافات أخرى، أو من قبيل انفلات بعض المنتسبين له من مبادئه كلية، أو من بعض أساسياتها.

ثم إنّ هذا الخلل في التراث قد يكون كبيرا إذا ما صادم النصوص الصريحة والعقائد الصحيحة؛ ومنه ما يكون محلّ اجتهادٍ من العلماء على مدار العصور، ومنه ما هو مجمَع عليه؛ ولذا فعلى دارس التراث تمييزُ هذه المراتب الثلاث للتراث؛ وإلا وقع في إحدى إشكاليتين:

– قبول هذا التراث كله، وتقديسِه بما فيه من غث يعارض أصول الدين الإسلامي وحقائقه.

– الوقوع في شَرَكِ الدعوات التي تهدف إلى إسقاط التراث وعدم الاعتداد به تذرّعا بما فيه من ضعيف.

فهما أمران متقابلان آخذان بطرفي الإفراط والتفريط؛ والحقّ كامنٌ بينهما؛ وقد قيل: الحسنة بين السيّئتين والحق بين باطلين[٤٥].

واجب الباحثين نحو التراث المخطوط

---

[٤٣] المستشرقون ونشر التراث، علي إبراهيم النملة ص ١٨.

[٤٤] المستشرقون ونشر التراث، علي إبراهيم النملة ص ١٩.

[٤٥] انظر المثل في: الكامل في اللغة والأدب، المبرد، ج١/ ص١٩٥؛ الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ج١/ ص١٢٩.

لا شك أننا ما زلنا حتى اليوم في حاجة ماسّة إليه، بل إنه كلما تقدّمت بنا السنون ازدادت حاجتنا، وحاجة الأمة عامّة إليه؛ لهذا فالحفاظ عليها متعيّن، وهو واجب على الأمة، ومن فروض الكفايات، بحيث لو قدّر أنه لم يقم به أحد: فالإثم واقع على الجميع!

أما الزّعم أن المطبوعات تكفي عن المخطوطات: فهذا غير صحيح، ولا يقوله إلاَّ من ليس له معرفة بتاريخ الأمة، ومصنفات الأئمة، وحجم مؤلفاتهم، وكثرة مصنفاتهم.

فلو نظرت إلى عدد عناوين المطبوعات التراثية -أعني الكتب التي طبعت عن مخطوطات-: لوجدتها قليلة، حتى لا تكاد تمثّل إلا نسبة يسيرة بجانب أعداد المخطوطات؛ وما يملأ عين الناظر من المطبوعات اليوم هو طبعات مكرّرة لعناوين محدودة، فالعنوان الواحد قد يطبع مائة مرة، وأكثر.

ثم إن هذه المطبوعات التراثية -مع قلة عددها موازنة بحجم المخطوطات- لا تكاد تسلم من أمر يكدر تمام الاستفادة منها؛ فبعضها طبع طبعات كثيرة التحريف والتصحيف والأخطاء، عن نسخ خطية سيئة، أو كان سبب ذلك سوء عمل المحقق، وضعفه العلمي، وبعضها طبع طبعة جيدة، غير أنها نفدت فلا تكاد توجد إلاَّ بعد مشقة.

ولو سلّمنا بأنّ بعض المخطوطات طبعت طباعة جيدة متقنة مصححة: فإن ذلك لا يغني عن المخطوطات، فالمخطوط يبقى شاهد عدل وصدق، على سلامة المطبوع وصحته، وعدم تحريفه، أو تزويره، أو الزيادة فيه، أو النقص منه؛ وكلما زاد عدد المخطوطات للكتاب زادت الشهادة على إتقان المطبوع وصحته، كحصول الشهادة على الشهادة.